

التنشئة والتعليم ... جسران معرفيان لترسيخ حيوية ومحورية البناء المغاربي

د. محمد سي بشير-

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية- الجزائر

ملخص:

يعد كل من التعليم والتنشئة من أولى متطلبات ترسيخ القيم وتجعل منها جسرا لبناء الاتجاهات الفكرية التكاملية و/أو الاندماجية الوحيدة بين الكيانات السياسية التي تتمتع بحزمة من مقومات تلك القيم المتصلة بالهوية (اللغة، الانتماء الحضاري إضافة إلى القواسم التاريخية المشتركة). وانطلاقا من هذا التأكيد، يمكن توضيح أهمية المنظومة التربوية ودورها في بناء تلك القيم واتخاذ مؤسسات التربية والتعليم (المدرسة)، بمختلف مستوياتها، وصولا إلى التعليم العالي، مناطا لإيجاد تنشئة بإمكانها تحقيق ذلك في فترة زمنية محددة، في توافم تام مع منظومة مبادئ سياسية تحملها قيادات (كاريزمية) تتخذ من الاتجاه التكاملية و/أو الاندماجية هدفا أولويا تنتهي بتجسيد التعالي بالولاء الاندماجي على الولاء الوطني، أو مكمل له، في إطار كنفدرالي، بداية، ثم اندماجية، في نهاية المسار، على غرار ما جرى في التجربة الأوروبية في جانبها الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: التنشئة - التعليم - المغرب العربي - القيم - التكامل - الاندماج - حيوية البناء المغاربي - مستقبل التوازن مع الضفة الشمالية للمتوسط

Résumé

La présente étude s'articule sur deux éléments, en l'occurrence la socialisation et l'éducation, à même de permettre l'édification d'un Maghreb puissant au vu de l'impuissance des gouvernants des pays de l'UMA à concrétiser le rêve des pères fondateurs des Etats de la région consistant en la réalisation de l'unité des peuples et des pays maghrébins.

Ces deux éléments, ancrés dans les systèmes éducatifs des pays de la région, pourraient créer de nouvelles valeurs supplantant celles qui exigent une loyauté suprême au pays d'origine et donneraient lieu à un nouveau système de valeurs donnant, cette fois-ci, la suprématie au nouveau Etat : le Maghreb.

Mots clés : La socialisation- L'éducation- Le Maghreb- Le système de valeurs- La complémentarité économique- L'intégration- La vitalité de l'édification du Maghreb- L'avenir de l'équilibre des deux rives de la Méditerranée

مقدمة

أن يجسدها موجود ويكفي فقط التفتن من قبل النخب الحاكمة والشعوب على حد سواء إلى جعلها الإشكالية الحيوية، أي التي يجب تحقيقها، لزاما، وفي نفس التوقيت، مع باقي الإشكاليات العويصة وهي تلك المتصلة ببناء الدولة (حيث هناك فشل في بنائها في المغرب العربي)، تحقيق التنمية والتطور (و هو فشل ثان باد للعيان من خلال مؤشرات كثيرة

ليس من السهل التطرق لإشكالية نزع في المغرب العربي أنها طبيعية وذات "سيولة أكيدة" لأن ما يحكمها من منطلقات نراها جميعا مرتبطة بالماضي، تسير الحاضر وترسم معالم المستقبل. إنها إشكالية "البناء المغاربي" التي تعد أولوية الأولويات في تفكير أي مغربي بل إن كل ما يمكن

- ثانيا: أهمية التنشئة والتعليم في بناء منظومة القيم المشتركة.

- ثالثا: المغرب العربي: قيم مشتركة لتعزيز فرص البناء المغربي.

- رابعا: محورية التنشئة والتعليم في ترسيخ التوازن مستقبل المغرب العربي.

أولا- مكانة القيم في الاتجاه العالمي نحو مشاريع التكامل و/أو الاندماج.

تشير النظريات المفسرة لما يحدث في العلاقات الدولية إلى أهمية دور الاقتصاد في تجنب الوحدات في المنتظم الدولي ويلات الحرب وهو ما أكدته النظرية الوظيفية التي تزعم هذا التوجه، بمسارها القديم والجديد، حيث ينتشر السلام ويصبح الصراع مستبعدا إذا تم إيجاد مصالح مشتركة تزداد نموا باستمرار، وتحديد قيم مصلحة تحول دون تصعيد الأزمات، بل تحد منها وتجمعها خدمة للصالح العام.

تركزت تلك النظريات على مبدأ "الانتشار" في إقرارها لحيوية تلك المصالح، إذ أن المشروع الصغير، بعد فترة زمنية، يوفر الحاجة لمشاريع أخرى في ميادين ذات صلة به وهو ما يجعل من الاقتصاد ميدانا حيويا وواقعيا يدفع نحو التكامل بين الدول، التي توجد وتكبر فيها تلك المشاريع.

كان "ديفيد ميتزاني" أول من وضع أسس هذه النظرية لتجنب العالم ويلات الحرب مثل التي شهدتها في الحرب العالمية الأولى، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية برز تقويم جديد لنظرية "ميتزاني" سمي بـ "الوظيفية الجديدة"، يركز على نفس الأسس، مضيفا إليها ما يعرف بالسياسات العليا أي تجاوز التكامل للميدان الاقتصادي وسعي هذه السياسات إلى الجمع بين ميادين التكامل وصولا إلى الاندماج.

قاد هذا الاتجاه منظرون آخرون منهم "اتزيوني"، "ارنست هاس"، "كارل دوتش" وغيرهم، ممن طور تصورات تضمنت الأسس التي يجب على السياسيين العمل على إيجادها لتمير مشاريع التكامل وإيصالها إلى صورة الاندماج مثل الذي حدث في أوروبا وأوجد أنموذجا ناجحا هو "الاتحاد الأوروبي".

لعل التصنيف المتردي للبلدان المغربية في الاستثمار الأجنبي، التعليم، البطالة المرتفعة، الخ... يؤكد هذا، التحول الديمقراطي (حيث ما زالت التجارب تراوح مكانها بل وتتردى عوض أن ترسخ، ما عدا التجربة التونسية الفتية) وتجسيد حلم التكامل الاندماجي بإعادة بعث المشروع المغربي.

إذا ترسخ في الأذهان ذلك وسارعت مؤسسات التنشئة إلى ترسيمه خطا استراتيجيا وحيويا، فإن البناء المغربي سيتجسد مرفوقا بتلك الأهداف بل يكون قاطرها لأن سلسلة الفشل المذكورة لا يمكن تبريرها إلا بنماذج التنمية التي تم اختيارها غداة الاستقلال والتي كان من الممكن أن تنجح لو أنها استعادت روح "نجم شمال إفريقيا" و "مؤتمر طنجة"⁽¹⁾ واللذين يشكلان قاعدة الانطلاق لنشر حزمة القيم التنشئية التي سنتحدث عنها في هذه الورقة: بداية بالتطرق للبناء الاندماجي في أدبيات العلاقات الدولية ثم بالبحث في مكانة القيم ضمن مسار البناء الاندماجي، انتهاء، بالبحث في مؤسسات التنشئة ودورها في غرس تلك القيم وتفعيلها في مضامين الكتب التربوية وسلك التعليم إضافة إلى مسارات التنشئة الأخرى المتوفرة وبخاصة مع تطور وسائل الاتصال الآن.

لإدراك محورية بناء المغرب العربي عبر التنشئة والتعليم، يمكن طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن للتنشئة والتعليم أن يشكلوا جسرا لبناء قيم مشتركة تتجسد في مشاريع ينتهي بها إلى بناء اتحاد مغربي تنشده الشعوب ويتعالي بواسطتها عن الولاء القطري الضيق؟.

سعيًا للإجابة على الإشكالية، سيتم الاعتماد على اختيار الفرضية التالية واختبارها:

- هناك حاجة إلى تعزيز فكرة البناء التكاملي أو الاندماجي وتعزيز قيمه في منطقة المغرب العربي عبر مضمون البرامج التعليمية وسياسات التنشئة وإشراك المجتمع المدني في هذا الهدف من خلال كل قنوات الاتصال والتواصل الاجتماعي.

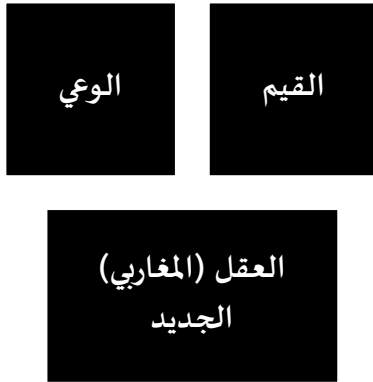
ستركز الدراسة على العناصر التالية:

- أولا: مكانة القيم في الاتجاه العالمي نحو مشاريع التكامل و/أو الاندماج.

التقليدية، منها (المساجد، دواوين الاجتماعات على مستوى القرى والمدن) والحديثة (تويتر، فايسبوك، استغرام، الخ....).

أ- التنشئة

الشكل (1): مسار العمل التنشئي للبناء التكاملي⁽⁴⁾



تؤدي التنشئة - كوسيلة- إلى تمرير القيم المشتركة المتضمنة لرؤية للمشروع التكاملي ومكاسبه باعتبار أنها الاسمنت الذي يصنع الفارق في نجاح التجربة التكاملية ويوجد لها فضاء لتجسيد الأهداف المرحلية المخططة، مع ضمان ولاء فئات الشعب المختلفة لها وثقتها ووعدها بحيوية المشروع وحقيقة المكاسب التي سيجنيها المواطن في مختلف ميادين البناء التكاملي وبصفة تدريجية.

يمكن اعتبار التنشئة مصنعا للوعي بحيوية المشروع ومحرك الثقة بثماره، لذلك فان كل الوسائل توضع تحت تصرف المؤسسات التي تضطلع بالمهمة المعقدة المتمثلة في غرس القيم المشتركة والتوعية بمضمونها وتفعيلها لتكون مشكّلة للعقل الجديد، العقل المغاربي وليس العقل القطري، الجزائري، المغربي أو التونسي.

وعليه، لا يمكن بناء وعي جديد بالبناء التكاملي- بداية ووصولاً - في المراحل المتقدمة للبناء، إلى تشكيل العقل المغاربي الجديد إلا بوسيلة التنشئة، بتعبئة كافة المؤسسات التي تقوم بها من القاعدة (الأسرة ومؤسسات التنشئة التقليدية والحديثة) إلى القمة (المؤسسات التي يتشكل منها النظام السياسي القطري) مع التركيز المرحلي على النقاط التالية:

من بين الميادين التي ركز عليها هؤلاء المنظرين هو ميدان "القيم"⁽²⁾ التي يجب أن توجد في المجتمعات التي تسعى لتجسيد مشروع تكاملي- اندماجي، حيث حددوا سلسلة من المراحل على المشروع أن ينطلق منها ثم يتجاوزها، مرحلة- مرحلة، وصولاً لتجسيد الهدف المنشود. ومن بين تلك المسائل التي تم التركيز عليها والتي يمكن إدراجها ضمن المراحل القبلية، المسألة المتصلة بالقيم المشتركة، التي بدونها لا يمكن تصور انجاز نجاح ما لمشروع التكامل. وتشير تلك القيم إلى جملة من التصورات والادراكات المشتركة، وهي:

- التجارب التاريخية المشتركة،

- تقاسم جملة من مكونات الهوية.

تعد تلك القيم ميدانا مكملا لجملة من المتطلبات الحيوية⁽³⁾ والتي يأتي على رأسها: وجود قيادات متميزة (تقود العملية وتوجد لها القبول لدى فئات الشعب المختلفة والنخب، على حد سواء: مثال "ديغول" الفرنسي و"أديناور" الألماني بالنسبة للمشروع الأوروبي)، توفر الإقليم/القاعدة (النقطة المحورية التي ينطلق منها العمل التكاملي الوحدوي، مثال الدول التي أنجزت وحدتها على غرار فرنسا، ألمانيا وإيطاليا والقاطرة الفعالة (أي الدول التي يقع عليها عبء قيادة العملية التكاملية بالنظر لتمتعها بدور محوري على غرار ألمانيا وفرنسا، بالنسبة للنموذج الأوروبي).

بالنتيجة، تكون القيم المشتركة الاسمنت الذي يقوي تلك المعطيات الواقعية المذكورة، تجعل من التوجه التكاملي توجهها واقعيا وقابلا للإنجاز. وعندما تكون تلك القيم ذات طابع مشترك في قواسمها، فإنها تكون هي القاطرة القبلية للمشروع التكاملي، تزيده زخما وتقلل من مخاطر الاختلافات ذات المرجعية الإدراكية لإشكاليات لها صلة بالانسجام المجتمعي الهوياتي".

ثانيا- أهمية التنشئة والتعليم في بناء منظومة القيم المشتركة

تعتبر التنشئة والتعليم وسيلتان حيويتان في تمرير حزمة من القيم الحاملة لدلالات الانسجام الهوياتي إذ أنهما وسيلتا اتصال بين النخبتين الحاكمة، الفكرية وباقي فئات الشعب وبخاصة المرتادين على مؤسسات المنظومة التربوية بمختلف مستوياتها، إضافة إلى وسائط الاتصال الاجتماعية

الشكل (2): التعليم ووسائل التنشئة⁽⁵⁾

تؤدي المؤسسات المذكورة، في إطار المنظومة التربوية، أدواراً حيوية في تمرير رسالة التنشئة، في شكل خطاب متكامل، يغطي كل المواد المدرسة وكافة الفعاليات التي تشهدها المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها. وتختلف القيم التي ينشرها التعليم عن الأيدولوجيا في كون الأخيرة مرحلية وتابعة لتوجه محدد (القومية، اليسارية... الخ) في حين أن القيم تتمتع بصفة الثبات والديمومة وهو ما يمكن أن ينطبق، في هذه الدراسة، على تفعيل مشروع البناء المغربي الذي يتجاوز توجهات الأنظمة السياسية والأيدولوجيات وتكتسب، بالتالي، صفة الديمومة التي تمكنها من أن تعلق على "القيم" المؤقتة المرحلية وتكون ذات صفة حيوية وإستراتيجية لخدمة مستقبل شعوب المنطقة.

بما أن التعليم وسيلة تمرير خطاب القيم، فإن المنظومة التربوية تنطلق في عملها مشكلة للوعي وللعقل الذي تصله الرسالة، مع اتخاذ أسباب تضمن الفعالية للخطاب وللرسالة وذلك من خلال إتباع أساليب بيداغوجية وتعليمية تشمل كل ما من شأنه تسهيل وتثبيت المعلومات التي يمررها الخطاب القيمي التعليمي، لأن هذه الرسالة هي التي تربط بين التنشئة والتعليم، وتجعلهما متكاملين أي لا يمكن ضمان نجاح أحدهما إلا برفقة الآخر فما تقوم به الأسرة في البيت وتضطلع وسائل الإعلام بتقويته عبر أدواتها

- صناعة الوعي بتلك القيم باعتبارها قواسم مشتركة، والدعوة إليها، ليس دعوة إنشاء وتشكيل بل دعوة تذكير، لأنها موجودة وتحتاج لإعادة إحياء خدمة لمشروع حيوي وإستراتيجي،

- توجيه الأنظار مجتمعياً إلى ذلك الوعي ورفعته إلى مصاف التحدي الوجودي مع تبني أجندة زمنية لتفعيل ذلك الوعي مجسداً في ثمار البناء التكاملي،

- ربط صناعة الوعي بتشكيل العقل المغربي الجديد مع ربط ذلك التشكيل بمرحلة انتقال الولاء من النطاق الضيق (الدولة الواحدة) إلى النطاق الواسع (الكيان الجديد)،

- الأخذ في عين الاعتبار، بعد دراسات مستفيضة، للتغيرات التي طرأت على المجتمعات المغربية والمقصود بها التغيرات المجتمعية واختيار طرق علمية في الاستهداف لأن مهام صناعة الوعي وتشكيل العقل الجديد تحتاج إلى كثير من العمل المتصف بالعمل المدروس وفق منهجيات دقيقة (القيام بعمليات سير آراء، نشر كتيبات وملصقات إضافة إلى إنتاج أفلام وأشرطة تتضمن كلها الوعي والعقل الجديدين شكلاً ومضموناً)،

- وضع أجندة مرحلية دقيقة لتفعيل الوعي والعقل الجديدين وربط كل مرحلة من مراحل التنشئة بالثمار المرجوة للبناء التكاملي (وهو باب مهم ركز عليه المنظرون للوظيفية).

ب- التعليم

يعد التعليم من أهم وسائل التنشئة بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية... حيث يكمل المؤسسات الأخرى التي تضطلع بذات المهمة على غرار الأسرة، المسجد، وسائل الإعلام، التلفزيون، السينما، الانترنت، وسائط الاتصال الاجتماعية، الخ... والذي تكمن أهميته في كونه يمثل منظومة متكاملة تضم المدرسة (كمؤسسة اعتبارية حاضنة للتنشئة)، المكون والمؤطر (رسالة التلقين)، الوسائل (أدوات الترسيع) في إطار خطاب شامل يتضمن منظومة القيم.

يمكن الإشارة إلى ذلك في الرسم التوضيحي التالي:

الاستقلال وإثبات أن هذه القيمة المضافة لـ "البناء المغاربي" ستكون، لزوماً، هي الفارقة والمنقذة له في المستقبل.

يجب القول، بالتالي، أن إعادة انبعاث قيمة "البناء المغاربي" والتأكيد على صفة الحيوية التي تتمتع بها، لا يمكن أن تتجسد إلا باتباع أنجع الأساليب في الإقناع عبر وسيلتي التنشئة والتعليم والتكثيف، بالاعتماد، على منظومة متشابكة تتضمن: الفكرة المتصلة بالبناء المغاربي، القيم المتصلة بها والأدوار التي على هاتين الوصيلتين الاضطلاع بها لترميز رسالة وخطاب الفكرة المغاربية كما يتصورها أبناء دوله، ولكي تضمن أن تكون فاعلة، فانه يجب أن تتضمن الخطوات الضرورية التالية (على سبيل المثال لا الحصر):

أ- توحيد المصطلحات والمسميات ذات الصلة بالبناء المغاربي، في كل برامج التنشئة والتعليم في منطقة المغرب العربي،

ب- توحيد البرامج التربوية ذات الصلة بالبناء المغاربي (التاريخ، الجغرافيا، بالتركيز على مسألة الوحدة الجغرافية المتصلة تاريخياً وبصياغة خرائط تخلو منها الحدود)،

ج- الإشارة في المنظومات التنشئية إلى الارتباط بين ثلاثة أهداف محورية، هي:

1- إعادة انبعاث البناء المغاربي كسبيل لإنقاذ الدول القطرية من مسارات الفشل الذريع في الميادين المذكورة،

2- وأن فكرة "البناء المغاربي" هي خطوة في إطار "القفزة المغاربية الكبرى" لتبوء مكانة القوة الإقليمية ضمن فضاء استراتيجي يتضمن الفضاءات المذكورة سالفاً،

3- وأن فكرة "البناء المغاربي" هي سبيل إعادة التوازن للعلاقات مع الضفة الشمالية للمتوسط وخطوة نحو محو آثار "القابلية للاستعمار" بتحجيم مرحلي لأسباب الضعف الهيكلي المغاربي،

د- تكتيف العمل الإعلامي ذي الصلة بفكرة "البناء المغاربي" مع التركيز على الأعمال الجماعية، التظاهرات المغاربية، المشاركات الجماعية في التظاهرات الدولية...

(الإذاعة، التلفزيون، الجريدة، السينما، الأشرطة، الخ...) لا يمكن أن يحقق نتائجه إلا بخطاب تعليمي تقوم به المنظومة التربوية يتصف بالانسجام والتناسق مع العمل القيمي الذي تقوم به تلك المؤسسات التنشئية لاسيما منها مؤسسات التربية والتعليم.

كما لا يخفى الدور الحيوي الذي ينبغي على المجتمع المدني القيام به لترسيخ تلك القيم التكاملية من خلال مؤسساته المختلفة (الجمعيات، المنتديات، وسائط الاتصال الاجتماعية...). مع اعتبار أن تلك القيم لا تنشأ ولا ترسخ إلا في ظل عمل شامل يتخذ صفة الخطة الإستراتيجية، مع تفعيل المرحلي وفق أجندة محددة تتضمن: سمات القيم، عقلانية الخطاب، التناسب بين الرسالة والوسيلة والدراسات المرحلية للرفع من نسب الترسخ لتلك القيم وتفعيلها وفق تطلعات شعوب المنطقة (عمليات سبر الآراء)...

ثالثاً- المغرب العربي: قيم مشتركة لتعزيز فرص البناء المغاربي

تعد الفكرة المغاربية أو "البناء المغاربي" قيمة مشتركة بين شعوب ونخب المغرب العربي، بل يمكن وصفها بأنها تعلق، في مضامين الخطاب السياسي، الوثائق التاريخية للحركة الاستقلالية أو للأحزاب السياسية، على القيمة القطرية وإن كانت تشمل، في البداية، على فكرة المغرب العربي بثلاثة دول لتتطور، مؤسسياً، إلى مغرب عربي بخمسة دول يضم كل من ليبيا وموريتانيا إلى البناء المغاربي الأصلي وهو توسع يهدف في منطلقاته إلى الارتقاء بمحورية فكرة "البناء المغاربي" وإستراتيجية تفعيلها لتدارك مظاهر الفشل المشار إليها حيث يمكن إن تشكل المنطلق لإعادة تصور مسارات بناء الدولة، تحقيق التنمية والتطور الاقتصادي والنجاح في عمليات التحول الديمقراطي ونهاية، تبوء مكانة القوة الإقليمية وتجسيد فكرة التوازن في العلاقات وبخاصة مع المحيط الإقليمي والدولي والفضاء الاستراتيجي الحيوي (المتوسط الغربي-المغرب العربي-المنطقة الساحلية الصحراوية).

يمكن تفعيل هذا التوجه بواسطة العمل التنشئي والتربوي، المنطلق من قيم التاريخ (المضمون الوحدوي من خلال التجارب التاريخية المشتركة) ثم التطرق إلى المعطيات الأخرى وتلك المتصلة بتقويم وتقييم ما تم تحقيقه منذ

الثاني: حل جذري للخلافات بين الدول المغربية وبخاصة منها القاطرة أو تأجيلها (التخفيف من حدة المشاكل الحدودية ومسائل خلافية) إلى حين انبعاث الاتحاد المغربي،

الثالث: إعادة النظر في جملة المبادرات والاتفاقيات المبرمة مع الجار الشمالي في المتوسط الغربي والسعي إلى التحرك الجماعي لإقرار مسارات تفاوضية جديدة (شكلا ومضمونا) و سياق تعاملات قطب مغربي-قطب أوروبي.

كما يحتاج هذا العمل إلى وضع إستراتيجية ذات شقين، أولهما إستراتيجية الانبعاث المغربي وثانيتها اتخاذ وسيلتي "التنشئة" و "التعليم" كجسرين لتجسيد فكرة البناء المغربي في أسرع وقت ممكن، أو كما حدد له موعدا أقصاه (2030).

لا يمكن الانطلاق في هذا العمل دون التفكير في مسألة التقييم للسياسة العامة في البلدان المغربية وهو ما يمكن تجسيده بإجراء دراسات تدقيقية لشؤون تسيير تلك السياسة وتوجيهها في الفترة القادمة، وذلك في إطار مخطط استعجالي، يساهم التعليم والتنشئة فيه بإسهام حيوي وكبير، لتحقيق انبعاث المنتظم المغربي على أسس صحيحة قد يكون قوامها مشاريع كبيرة في ميادين الطاقة (الجزائر وليبيا)، السياحة (المغرب وتونس)، الزراعة (المغرب، تونس والجزائر)، الصيد (موريتانيا) وهو ما سيفتح الباب واسعا أمام تحقق موارد مالية ضخمة تمول سياسات التشغيل والاستثمار في المغرب العربي حيث الحاجة ماسة وحيوية لإصلاح المنظومة الاقتصادية برمتها و في البلدان المغربية جميعا.

وعليه، إذا تحقق المرجو من تلك المشاريع، وفي الفترة المخطط لها، فإنه يمكن، عندها التفكير في تحويل تلك المكاسب إلى أدوات اقناعية داخلية (لنقل الولاء القطري نحو المنتظم الاندماجي) والخارجي (ميلاد قوة إقليمية قادرة على أداء دور حيوي في المنطقة الغربية للمتوسط وفي المنطقة الساحلية الصحراوية)، ويكون التعليم والتنشئة هما جسران لعبور تلك القيمة وتحويلها من عالم التصور إلى عالم الواقع المعيش بجني المغاربة ثمارها، من خلال خطوتين هامتين:

هـ- التركيز على دور العمالة المهاجرة في أوروبا، بصفة خاصة، بالنظر إلى دورها في تعزيز مثل القيم المغربية المشتركة⁽⁶⁾،

و- الرفع من شعارات أولوية الاستهلاك للمنتجات المغربية (التجارة البينية) والسياحة في البلدان المغربية وهما سبيل توطيد أواصر الود الشعوري بالوحدة وحيويتها الفعلية (الثمار الاقتصادية).

وعليه، فإن هذه التصورات، هي أمثلة على الفعاليات الحيوية التي على وسيلتي التنشئة والتعليم القيام بها والدفع إلى ترسيخها وهي كفيلة، إن تم انجازها بطريقة مدروسة، مخططة وعلمية، حتى تحقق النجاح المأمول للبناء المغربي، وكما يبدو، فإن هذه القيم المشتركة سيكون الخطاب بدونها مفككا وغير متناسق وهو مدعاة إلى التفكير بطريقة إستراتيجية، وفق أجندة محددة (اتخاذ تاريخ 2030 أساسا مرجعيا لتجسيد البناء المغربي) لتفعيل الوسيلتين واعتبارهما "جسرا تمرير قيم البناء المغربي".

رابعا: محورية التنشئة والتعليم في ترسيخ التوازن مستقبل المغرب العربي

يدعو العمل لتفعيل دور التنشئة والتعليم في ترسيخ "البناء المغربي" إلى الانتقال من الحالة المزرية للمنتظم المغربي، إلى مقومات التفكير الواقعي كضرورة لبعث البناء التكاملي المغربي، وهو المسار الذي سيسمح بتعويض الخسائر الجسيمة في التعامل مع التكتلات الدولية والتي من أهمها "الشريك الأوروبي" ومهندس لمسار بناء وتنوع شركاء المستقبل على خلفية معادلة واقعية مضمونها: تعظيم المكاسب وتحجيم الخسائر قدر الإمكان إضافة إلى تمكين ذلك المسار بعقيدة أمنية تجعل من المنطقة المغربية والساحلية-الصحراوية فضاء استراتيجيا خالصا للقوة الإقليمية الجديدة.

ويحتاج تفعيل هذا المسار إلى ثلاثة شروط أساسية:

الأول: إدراك القاطرة (الجزائر والمغرب) لحيوية دورها والاضطلاع به على خلفية حزمة من القيم تدفع إلى ترك كل الخلافات جانبا والتفكير فقط في إستراتيجية انبعاث البناء التكاملي،

حزمة القيم المتصفة بالدوام والثبات والتي على وسيلتي التنشئة والتعليم الاضطلاع بدور نشرها عبر مسارات تشارك فيها فئات المجتمع برمتها من خلال مؤسسات رسمية وأخرى تنتمي للمجتمع المدني.

يرأى المشروع المغاربي مكانه منذ إنشائه في 1989 وصاحب ذلك سلسلة من الفشل الذريع لمشاريع البلدان المغاربية لبناء الدولة، تحقيق التنمية والتطور وإنجاح تجاربها الانتقالية نحو الديمقراطية إضافة إلى بقائها موضوعا للسياسة الأوروبية، بوجه خاص، على خلفية اتفاقات الشراكة التي فاقمت من الفشل وأعاقت مسار البناء المغاربي من ناحية، وكانت من تبعاته، أيضا، من ناحية أخرى.

لهذا، كان للبناء المغاربي وما يزال دوره الحيوي الذي يجب إن يبعث من جديد مع التركيز على التمكين له باعتباره مشروعا استراتيجيا مستقبليا مع أجندة محددة وبثمار مرحلية مجتمعية ترسخه. وبما أن المشروع مجتمعي، فانه يحتاج لزاما لحزمة من القيم التي تستلزم رفض الغراب عنها فقط والتي لن تجد أفضل من وسيلتي التنشئة والتربية لتجد طريقها إلى التفاعل مع الواقع المجتمعي المغاربي وصولا إلى هدفين أساسيين: المواطنة المغاربية وتشكيل العقل المغاربي الجديد في ظل كيان اندماجي له الولاء الأول.

لطالما حلم جيل الاستقلال بالمغرب العربي الموحد، لنجعل من التنشئة والتعليم جسرين لتجسيد ذلك الحلم وبخاصة في ظروف مواتية الآن مع المشاكل التي تعترض مسار البناء الأوروبي وخروج بريطانيا منه ومع تعمق المشاكل الاقتصادية وترنح القاطرة الفرنسية – الألمانية.

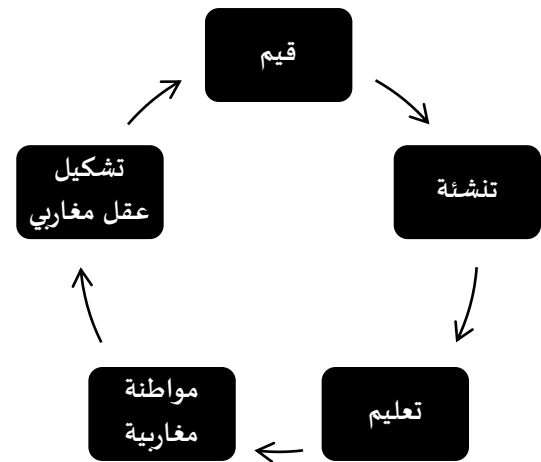
الهوامش :

(1) يشير الحدثنان إلى حزب الزعيم الوطني الجزائري، المرحوم "مصالي الحاج" زعيم "نجم شمال إفريقيا" أول حزب مغاربي يشير في سنة 1928، في مؤتمره التأسيسي، إلى "المغرب العربي" (بدوله الثلاثة وقتها: الجزائر، تونس والمغرب) كوحدة جغرافية متصلة وقيمة إنسانية تغطي فضاء كل الإقليم وتسعى لتحقيق هدفه الأسسى آنذاك (في عهد الاستعمار الفرنسي) ألا وهو الاستقلال. أما "مؤتمر طنجة" المنعقد في 1958 فقد كان المؤتمر الذي لم شمل الأحزاب التي قادت (تونس والمغرب) وتقود (الجزائر) حركة

الأولى: تجسيد البناء الاندماجي المغاربي وتحول الفضاء القطري إلى فضاء اندماجي (بسياسة خارجية وسياسة دفاعية واحدة، على غرار ما تعرفه أوروبا الآن).

الثانية: اكمال مسار تجسيد "المواطنة المغاربية" بدلا من المواطنة القطرية وبعث برنامج "مغرب عربي كبير بلا حدود" على غرار "فضاء شنغن" الأوروبي بفلسفة تقوم على ثنائية الحقوق/ الواجبات مع التركيز فقط على خدمة الوطن الجديد والتضحية من أجله وإهمال بل وتجاوز الروح القطرية مع تأكيد وصمها بـ"البالية".

الشكل (3): مسار دوران القيم و"البناء المغاربي"⁽⁷⁾



ينتهي العمل التنشئي والتعليمي بميلاد مواطنة مغاربية وتشكيل "عقل مغاربي" بهوية فضاءها غرب المتوسط بحدوده الجغرافية والجيوسياسية المذكورة ومجسدة في كيان اندماجي يطلق عليه "المغرب العربي الكبير" ويتم ذلك كله توازيا مع قطف المغاربة لثمار الكيان الجديد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا (ثقافيا) وأمنيا، وهي ثمار تنقلهم من أسفل وأدنى التصنيفات العالمية في مؤشرات التعليم، التنمية البشرية، الفشل، الحرية الاقتصادية والديمقراطية إلى أعلى مراتب التصنيف.

خاتمة

ترتكز المشاريع التكاملية و/أو الاندماجية على جملة من الشروط التحضيرية القبلية التي يجب أن تتوفر لزاما لتتحقق العملية وترسخ فيما بعد وتتصدر تلك الشروط

الاستقلال وتم الإشارة فيه إلى وحدة الهدف ووحدة الحلم المغاربي، التوحيد في مشروع تكاملي واندماجي.

(2) تختلف القيم عن الآراء في صفة الديمومة التي تكتسبها وبالتالي هي محصلة جملة من المكونات في سلم يحظى بصفة الثبات والحيوية في حين أن الآراء هي محصلة لحظة تفكير قابلة للتشكل والتغير عند تغير الظروف والمعطيات التي تولد فيها

(3) للمزيد، ينظر: نديم البيطار، من التجزئة إلى الوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، وهي المتطلبات التي أطلق عليها مسمى "الشروط التحضيرية للعمل الوحدوي" وتطرق فيها إلى النقاط التي اتفق عليها المفكرون المذكورون وبخاصة معطى القيم المشتركة.

(4) الشكل من إعداد الباحث .

(5) الشكل من إعداد الباحث.

(6) أشار الكاتب الصحفي الفرنسي المعروف "بول بالتا" في كتابة "La politique arabe de la France" (نشر دار "سندباد" في باريس) إلى فكرة مهمة وهي المغرب العربي بأربعة دول: الجزائر، تونس والمغرب إضافة إلى العمالة المغربية المهاجرة في فرنسا، بصفة خاصة، بالنظر إلى عددها الكبير والمؤثر كما يبدو الآن من خلال التسابق لربح الأصوات الانتخابية للجالية المغربية من قبل اليمين واليسار الفرنسيين، وكفي، فقط، زيارة الأحياء المغربية في باريس (بارباس، سان دوني، بل فيل) للاطلاع على الحيوية التي يصنعها الوجود المغاربي في فرنسا، إضافة، طبعاً، إلى حركية رجال الأعمال، الأطباء، الأساتذة ورجال الثقافة والفن وهم، جميعاً، وعاء هام لتمير فكرة "البناء المغاربي".

(7) الشكل من إعداد الباحث.